

يكسوم وطاقره يلقق فوقه حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه.

وقيل: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة وقيل: بثلاث وعشرين سنة.

وعن عائشة رضي الله عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان. وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب

مانتي بعير فخرج إليه فيها فجهره وكان رجلاً جسيماً وسيماً. وقيل: هذا سيد قریش وصاحب عير مكة الذي

يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال. فلما نكر حاجته قال: سقطت من عيني جثت لأهدم البيت الذي

هو نينك ودين أبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر، فالهاك عنه نود أخذك. فقال: أنا رب الإبل وللبيت رب

سيمعه، ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول: لا هم إن المرء يمد نعه أهله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك إن كنت تاركهم وكعد

بئنا فامر ما بدالك يارب لا أرجولهم سواك يارب فامنع منهم حماك

فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحر اليمن فقال: والله إنها لطير غريبة ما هي ببحرية ولا تهامية. وفيه أن

أهل مكة قد احتوا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره، وعن أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال: حمام مكة منها. وقيل: جاءت عشية ثم صبحتهم، وعن

عكرمة: من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

وقرى: ﴿الم تر﴾، يسكون الراء للجد في إظهار اثر الجازم. والمعنى: أنك رأيت آثار فعل الله بالحيشة وسمعت

الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة. ﴿كيف﴾ في موضع نصب بفعل ربك، لا بالهم تر لما

في كيف من معنى الاستفهام.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾

﴿في تضليل﴾ في تضييع وإبطال. يقال: ضلل كيده، إذا جعله ضلالاً ضائعاً، ومنه قوله تعالى: وما كيد الكافرين

إلا في ضلال. وقيل لامرئ القيس: الملك الضليل، لأنه ضلل ملك أبيه، أي: ضيعه، يعني: أنهم كانوا البيت أولاً

ببناء القليس وأرأوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكابوه، ثانياً بإرادة

هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم.

وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبْرَاجًا ﴿٣﴾

﴿أبراج﴾ حزائق الواحدة إبالة، وفي أمثالهم: ضغت على إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في

نار جهنم واستولت عليه، ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة. ومعنى: اطلاع النار عليها أنها تلوها وتغلبها وتشتمل عليها، أو تطلع على سبيل المجاز معانن موجبها.

إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٤﴾ فِي عَصْرِ مُؤَدَّدَةٍ ﴿٥﴾

﴿مؤصدة﴾ مطبقة قال:

تحن إلى أجدال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

وقرى: في عمد بضميتين، وعمد بسكون الميم، وعمد بفتحيتين، والمعنى: أنه يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فنؤصده عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب

العمد استيثاقاً في استيثاق. ويجوز أن يكون المعنى: أنها عليهم مؤصدة موثقين.

في عمد ممدة مثل المقاطر التي تقطر فيها للصوص. اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار. عن رسول الله ﷺ:

«من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ محمد وأصحابه»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفيل مكية

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسمها القليس،

وأراد أن يصرف إليها الحاج. فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلاً فأغضبه ذلك. وقيل: أجمت رفقة من العرب ناراً

فحملتها الريح فأحرقتها. فحلف ليهذ من الكعبة. فخرج بالحيشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً،

واثد عشر فيلاً غيره، وقيل: ثمانية، وقيل: كان معه ألف فيل وكان وحده. فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب

وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى، وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح،

وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هروا. فأرسل الله طيراً سوداً. وقيل: خضراً. وقيل: بيضاً، مع كل

طائر حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من

دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه. ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل. وبوى أبرهة فتساقطت أنامله وأرابه وما

مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو

(١) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحي في تفاسيرهم، زيلعي /4

بلا فصل، وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأولى والتين⁽³⁾ والمعنى: أنه أهلك الحبشة الذين قصدهم ليطسامع الناس بذلك فيتهييؤهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترئ أحد عليهم، وكانت لقريش رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام. فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته فلا يتعرض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم، والإيلاف من قولك: ألقت المكان أولفه إيلاًفاً إذا لفته فأنما مؤلف، قال: من المؤلفات الزهو غير الأوراك. وقرئ: لثلاف قريش، أي: لمؤالفة قريش. وقيل: يقال لفته إلفاً وإلفاً. وقرأ أبو جعفر: لإلف قريش. وقد جمعهما من قال:

زعمتم أن إختوكم قريش لهم إلف وليس لكم إلف
وقرأ عكرمة: ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف،
وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو
دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار.
وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما: بم
سميت قريش؟ قال: بدابة في البحر تاكل ولا تؤكل وتعلو
ولا تعلقى. وأنشد:

وقريش هي التي تسكن البحر ربها سميت قريشاً
والتصغير للتعظيم. وقيل: من القرش وهو الكسب لأنهم
كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد، أطلق الإيلاف
ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفضيماً لأمر الإيلاف. وتذكيراً
بعظيم النعمة فيه، ونصب الرحلة بإيلافهم مفعولاً به كما
نصب يتيماً بإطعام. وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأقرد
لأمن الإلباس كقوله: كلوا في بعض بطنكم. وقرئ: رحلة
بالضم، وهي الجهة التي يرحل إليها. والتذكير في جوع
وخوف لشدة ما يعني: أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد
كانوا فيه قبلهما، وأمنهم من خوف عظيم وهو خوف
أصحاب الغيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسارهم،
وقيل: كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام
المحرقة وأمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم،
وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه. ومن بدع
التفاسير: وأمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في
غيرهم. وقرئ: من خوف بإخفاء النون. عن رسول الله ﷺ:
«من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات
بعده من طاف بالكعبة واعتكف بها»⁽⁴⁾.

تضامها بالإبالة، وقيل: أبابيل، مثل عبايد، وشماطيط
لا واحد لها. وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: يرميهم، أي: الله
تعالى أو الطير، لأنه اسم جمع منكر وإنما يؤنث على
المعنى.

تَرِيَهُمْ بِحِجَابٍ مِنْ بَيْتِهِ ۝٤١

﴿وسجيل﴾ كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب
الكفار كما أن سجيناً علم للديوان أعمالهم. كأنه قيل:
بحجارة من جملة العذاب المكتوب المنون واشتقاقه من
الإسجال وهو الإرسال لأن العذاب موصوف بذلك وأرسل
عليهم طيراً فأرسلنا عليهم الطوفان، وعن ابن عباس
رضي الله عنهما: من طين مطبوخ كما يطبخ الأجر، وقيل:
هو معرب من سنككل، وقيل: من شديد عذابه، ورووا:
بيت بن مقبل. ضرباً تواصت به الأبطال سجيناً وإنما هو
سجيناً. والقصيد نونية مشهورة في نبوانه وشبهوا بوردق
الزرع إذا أكل. أي: وقع فيه الأكل وهو أن ياكله النود أو
بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب
القرآن. كقوله: ﴿كانا ياكلان الطعام﴾⁽¹⁾ أو أريد أكل حبه
فبقي صفرًا منه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الغيل
أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسح»⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش مكة

إِلْيَافٍ قُرَيْشٍ ۝١ وَإِلَيْهِمْ رِجْلَةُ الْإِسْتَاءِ ۝٢ وَالصَّيْفِ ۝٣
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٤ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ
مِنْ خَوْفٍ ۝٥

﴿إيلاف قريش﴾ متعلق بقوله: ﴿فليعبدوا﴾ أمرهم
أن يعبدوه لاجل إيلافهم الرحلتين.

فإن قلت: فلم نخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من
معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على
معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر
نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل:
المعنى عجبوا لإيلاف قريش. وقيل: هو متعلق بما قبله.
أي: فجعلمهم كعصف مأكول لإيلاف قريش. وهذا بمنزلة
التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله
تعلقاً لا يصح إلا به. وهما في مصحف أبي سورة واحدة

(1) سورة المائدة، الآية: 75.

(4) نكره الثعلبي والواحي وابن مردويه في تفاسيرهم، زيلعي /4

(2) نكره الثعلبي وابن مردويه والواحي في تفاسيرهم، زيلعي /4

(3) رواه عبد الرزاق في المصنف: 2/109، (الحديث رقم: 2697).